

القاضي العادل

حكايات
الشروف

بقلم : د. عبد العزيز عتيق

رسم : مصطفى حسين



دار الشروق

القاضي العادل

بقلم : د. عبد العزيز عتيق

رسم : مصطفى حسين

دار الشروق

القَاضِي العَادِل

- ١ -

القاضي العادلُ الذي أَقْصَى عليك الآنَ قِصَّتَهُ اسْمُهُ « شُونُج شَانُج » ..
كَانَ يَعِيشُ مُنْذُ زَمَنٍ طَوِيلٍ جِدًّا فِي مُقَاتِلَةٍ مِنْ مُقَاتِلَاتِ الصِّينِ اسْمُهَا
« شَانِي » ..

وكانَ يَحْكُمُ دَائِمًا بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ ، وَلَا يَخْشَى فِي الْحَقِّ لَوْمَةَ لَائِمٍ . !
وَلَمْ يَكُنْ يَتَأَثَّرُ فِي أَحْكَامِهِ بِغَيْرِ الْبَرَاهِينِ وَالْأَدِلَّةِ الْقَاطِعَةِ ! وكانَ إِذَا
كَوَّنَ رَأْيَهُ فِي قِضِيَةٍ مِنَ الْقِضَايَا تَمَسَّكَ بِرَأْيِهِ ، وَلَمْ يَهْتَمَّ مَطْلَقًا بِالْوَعْدِ أَوْ
الْوَعْدِ .. !

كانَ الضَّعَفَاءُ وَالْمَظْلُومُونَ يُحِبُّونَهُ وَيَجِدُونَ فِيهِ نَصِيرًا لَهُمْ . وكانَ الْأَقْوِيَاءُ
وَالظَّالِمُونَ يَكْرَهُونَهُ وَيَجِدُونَ فِيهِ عَدُوًّا عَنِيدًا ، لَا يَخَافُهُمْ وَلَا يَخْشَاهُمْ .. !
ولهذا لَمْ يَكُنْ لِلْأَغْنِيَاءِ وَأَصْحَابِ النُّفُوزِ وَالسُّلْطَانِ مِمَّنْ يَحْتَكِمُونَ إِلَيْهِ
أَيُّ تَأْثِيرٍ عَلَيْهِ ..

وَكُلُّ مَنْ حَاوَلَ مِنْهُمْ أَنْ يَرْشُوهُ بِالْمَالِ أَوْ غَيْرِ الْمَالِ اتَّهَمَهُ الْقَاضِي « شُونُج
شَانُج » بِمُحَاوَلَةِ التَّأْثِيرِ عَلَى ضَمِيرِ الْقَاضِي ، وَحَكَمَ عَلَيْهِ بِالسَّجْنِ عِقَابًا لَهُ !
كَانَ شِعَارُهُ مِنْذُ أَنْ صَارَ قَاضِيًّا أَنْ يَحْكَمَ بَيْنَ النَّاسِ بِالْعَدْلِ ، حَتَّى
يَأْمَنَ النَّاسُ .. كُلُّ النَّاسِ ، وَحَتَّى يَشْعُرُوا بِأَنَّهُمْ جَمِيعًا أَمَامَ الْقَانُونِ سَوَاءً ...

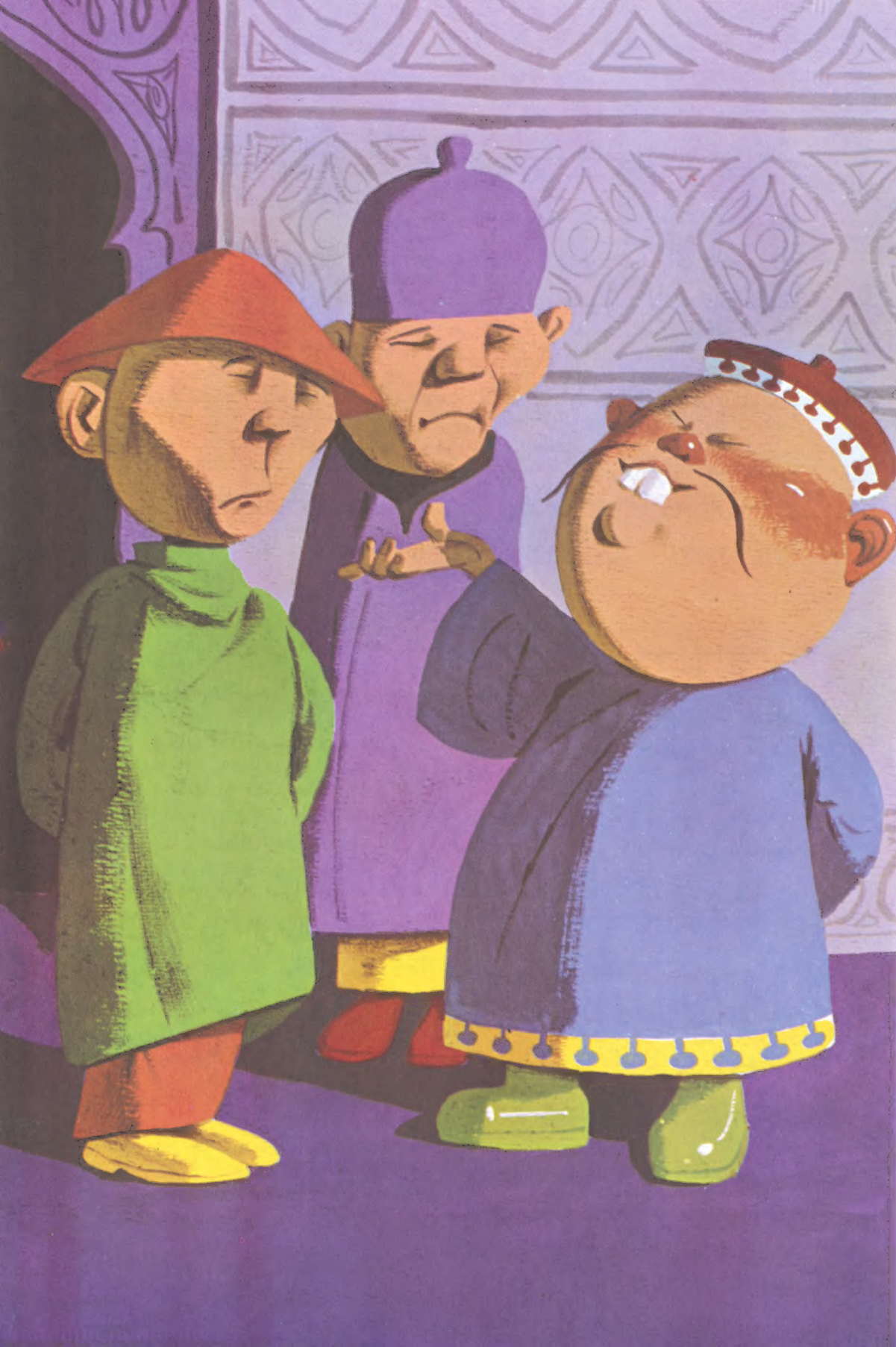
الطبعة الثانية

١٤١٣ هـ - ١٩٩٢ م

© دار الشروق

مبَيَّزَات: مدار الياس - شارع سيده صيدنايا - بتاية صفا
ص.ب: ٨٠٦٤ - بريقيا، داسشوق - تلكن ٢٠١٧٥١٤
SHOROK - هانفت: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٢ - ٨١٧٧٦٥
٣٠٧٩٨٤ - ٨٦٧٥٥٥

القاهرة: ١٦ شارع جواد حسني ت: ٣٩٢٩٣٣٣ / ٣٩٣٤٥٧٨
فناكس ٣٩٣٤٨١٤ - تلكنس ٩٣٠٩١ SHOROK UN
٨ شارع سيديو المصيري - مدينة نصر. ت: ٢٦٢٣٣٩٨
٢٦٢٣٥٤٨ - فاكس ٦١٧٥٦٧



ومن أجل سيادة القانون كان يتجاهل الإهانات والتهديدات التي يُوجَّهها إليه أصحاب النفوذ والسلطان...! وكان هذا يتطلب منه طبعاً شجاعة كبيرة ، وإرادة قوية ، وصبراً على الأذى .. !

وفي المقاطعات المختلفة التي وُلي القضاء فيها ، كان كثير من الأغنياء يستخدمون المال لإغرائه أو المجرمين الأشرار لتخوينه ، كي يفصل في القضايا لصالحهم ...

ولكنه لم يكن يخضع لإغراء المال ، أو يهتم بتخوين المجرمين الأشرار .! وكثيراً ما اعتدى عليه المجرمون الأشرار ، وضربوه ضرباً أليماً موجعاً ! ومع هذا كان يحكم في القضايا بالعدل والقسطاس !

وكان المحتالون والخبثاء يُرسلون إليه المال سراً باسم خصومهم ، حتى يغضب فيحكم ضد خصومهم ... !

ولكن أمثال هذه الحيل لم تستطع أن تخدعه ، فقد كان يكشفها ، ويحكم في القضايا بالعدل ، ثم يبعث بالمال الذي أرسلوه إليه سراً إلى بعض المستشفيات ... !

٢ -

وعندما سمع أبناء إقليم « لُونجُ يو » أنَّ هذا الرجل العادل « شُونج شَانج » عُيِّن قاضياً في إقليمهم ، فرحوا كثيراً جداً .

فقد كانوا يلاقون العذاب والأهوال من إقطاعي لا يعترف بالقانون ولا يخاف القضاة ...

ولهذا رَجَا أبناءُ إقليمِ «لُونجُ يُو» أَنْ يُخَلِّصَهُمُ القَاضِيُ الجَدِيدُ مِنْ مَظَالِمِ ذَلِكَ الرَّجُلِ الشَّرِيرِ ... !!

وكانَ الإِقطاعيُّ الطاغيةُ يُسَمَّى «لَامٌ» . وَلَمْ يَجْرُؤْ أَيُّ قَاضٍ وَفَدَ عَلَى إِقليمِ «لُونجُ يُو» أَنْ يَحْكُمَ ضِدَّهُ فِي أَيِّ قَضِيَّةٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ صَدِيقاً حَمِيماً لِأَحَدِ الأُمَرَاءِ ، وَمُقَرَّباً لَدَى رَئيسِ الوُزَرَاءِ .. !

وَلَا عِتْقَادَ «لَامٌ» أَنَّ صَدِيقَهُ الأَمِيرَ لَا يُمْكِنُ أَنْ يُصَدِّقَ مَا قَدْ يَبْلُغُهُ عَنْ مَظَالِمِهِ ، رَاحَ يَظْلِمُ أبنَاءَ الإقليمِ ، وَهُوَ آمِنٌ مِنَ العِقَابِ !

كَانَ إِذَا أَرَادَ شِرَاءَ قِطْعَةٍ أَرْضٍ مِثْلاً ، عَرَضَ عَلَى صَاحِبِهَا أَقْلَ ثَمَنٍ . فَإِذَا رَفَضَ صَاحِبُهَا بَيْعَهَا سَلَطَ عَلَيْهِ «لَامٌ» رِجَالَهُ الأَشْرَارَ ، فَعَذَّبُوهُ وَأَخَذُوا الأَرْضَ غَضَباً ... !

وَمَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ قَاوَمَهُ بَعْضُ النَّاسِ ، وَدَافَعُوا عَنْ أَرْضِهِمُ الْمُغْتَصَبَةِ ، فَبَطَّشَ بِهِمْ وَقَتَلَهُمْ ! وَلَمْ يَجْرُؤْ أَحَدٌ عَلَى اتِّهَامِهِ بِأَيَّةِ جَرِيْمَةٍ ... !!

وَكَانَ إِذَا أَعْجَبَتْهُ فَتَاةٌ طَلَبَهَا مِنْ أَهْلِهَا . فَإِذَا رَفَضُوا خَطَفَهَا وَلَمْ يَعْرِفْ أَحَدٌ مَكَانَهَا أَوْ مَصِيرَهَا ... !

كَانَ سُلْطَانُ هَذَا الرَّجُلِ الشَّرِيرِ قَوِيّاً ، حَتَّى لَقَدْ كَانَ حَاكِمُ المِقَاطَةِ يَخْشَى مُعَارَضَتَهُ صَرَاحَةً . وَكُلُّ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَعْمَلَهُ ، أَنَّهُ أَرْسَلَ القَاضِيَّ «شُونجُ شَانجُ» إِلَى ذَلِكَ الإقليمِ ! .

— ٣ —

وَلَمَّا عَرَفَ النَّاسُ أَنَّ هَذَا القَاضِيَّ الجَدِيدَ المَشْهُورَ بِالْعَدْلِ فِي طَرِيقِهِ إِلَى إِقليمِهِمْ ، أَمَلُوا فِيهِ خَيْراً ، وَأَعَدُّوا لَهُ شَكْوَى ضِدَّ «لَامٌ» الطاغيةِ ، بَيَّنُّوا فِيهَا كُلَّ جَرَائِمِهِ ، وَطَالَبُوا بِمُعَاقِبَتِهِ ... !

وَلَكِنْ خَافَ أَمَلُ النَّاسِ فِي القَاضِيِ الجَدِيدِ عِنْدَمَا رَفَضَ قَبُولَ شَكْوَاهُمْ ، وَطَلَبَ مِنَ الشَّرْطَةِ طَرْدَ مَنْ قَدَّمُوا إِلَيْهِ .. !

وَلَمْ يَكْتَفِ القَاضِيُ بِذَلِكَ ، وَإِنَّمَا رَاحَ يُخَاطَبُ هَؤُلَاءِ النَّاسَ قَائِلاً :

— مَاذَا تُرِيدُونَ بِهَذِهِ الشَّكْوَى ؟ هَلْ تُحَاوِلُونَ أَنْ تُخَدِّعُونِي بِهَا ؟ وَكَيْفَ يَجْرُؤُ أَحَدُكُمْ عَلَى اتِّهَامِ رَجُلٍ يَحْتَرِمُهُ أَمِيرُكُمْ وَرَئيسُ وَزَرَائِكُمْ ؟ أَلَا تَعْلَمُونَ أَنَّ الرَّجُلَ الَّذِي يَنَالُ احْتِرَامَ الأَمِيرِ وَرَئيسِ الوُزَرَاءِ ، لَا يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ لِصّاً أَوْ قَاتِلاً كَمَا تَزْعُمُونَ ؟ إِنَّ كُلَّ اتِّهَامَاتِكُمْ سَبِّهَا الْغَيْرَةُ مِنْهُ ! لَا أُرِيدُ أَنْ أَسْمَعَ مِنْكُمْ مَرَّةً أُخْرَى آيَةً كَلِمَةً ضِدَّ «لَامٌ» الفَاضِلِ ! وَكُلُّ مَنْ يَجْرُؤُ عَلَى اتِّهَامِهِ سَيُعَاقَبُ عِقَاباً صَارِماً ... !!

* * *

كَانَ لِهَذِهِ الكَلِمَاتِ وَقَعٌ سَيِّئٌ عَلَى نُفُوسِ الشَّاكِينَ وَالمُتَظَلِّمِينَ ! فَالْقَاضِيُ الجَدِيدُ الَّذِي أَمَلُوا فِيهِ خَيْراً قَدْ خَيَّبَ ظَنَّهُمْ فِيهِ ... !

وَلِهَذَا انْصَرَفُوا مِنْ عِنْدِهِ يَائِسِينَ ، ثُمَّ رَاحَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِلْبَعْضِ الآخَرِ :

إِنَّ القَاضِيَّ الجَدِيدَ لَيْسَ خَيْراً مِنَ القَاضِيِ القَدِيمِ ... !

إِنَّهُ كَغَيْرِهِ مِنَ القُضَاةِ السَّابِقِينَ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَعْمَلَ أَيَّ شَيْءٍ ضِدَّ «لَامٌ» الطَّاغِيَةِ الَّذِي جَعَلَ حَيَاتَهُمْ بُؤْساً وَشَقَاءً .. ! وَأَسْرَعَتْ جَوَاسِيْسُ «لَامٌ» تَنْقُلُ إِلَيْهِ كُلَّ مَا قَالَهُ القَاضِيُ لِلْقَرَوِيِّينَ ، فَسَّرَ وَاطْمَأَنَّ إِلَى أَنَّ القَاضِيَّ الَّذِي سَمِعَ عَنْهُ كَثِيراً ، لَيْسَ بِأَشْجَعَ مِنَ القُضَاةِ الآخَرِينَ ... !

ثُمَّ قَالَ «لَامٌ» لَجَوَاسِيْسِهِ فِي افْتِخَارٍ :

— إِذْنٌ فَالْقِصَصُ الَّتِي سَمِعْنَاهَا عَنْ عَدْلِهِ وَشَجَاعَتِهِ قِصَصٌ مُبَالِغٌ فِيهَا !

وقد كان عاقلاً أَلَّا يَتَّخِذَ مِنِّي خَصْماً بَعْدَ أَنْ أَدْرَكَ أَنِّي أَقْوَى رَجُلٍ فِي
هَذَا الْإِقْلِيمِ !

وَلَا شَكَّ أَنَّهُ قَاضٍ ذَكِيٌّ . فَهُوَ يَعْرِفُ أَنَّ كَلِمَةً وَاحِدَةً مِنِّي إِلَى رَئِيسِ
الْوُزَرَاءِ كَافِيَةٌ لِفَصْلِهِ مِنْ وَظِيفَتِهِ !

وَأَنَا مُتَوَقِّعٌ أَنْ يَحْضُرَ لِرِيارَتِي وَإِظْهَارِ حَاجَتِهِ إِلَى حِمَايَتِي .. !

- ٤ -

وَحَدَّثَ مَا تَوَقَّعَ « لَامٌ » الطَّاغِيَةُ ... !

فَفِي الْيَوْمِ التَّالِي زَارَهُ الْقَاضِي « شُونُجُ شَانْجُ » فِي قَصْرِهِ ، وَقَدَّمَ لَهُ هَدِيَّةً .. !
وَشَعَرَ « لَامٌ » بِالْعِظَمَةِ عِنْدَمَا سَمِعَ الْقَاضِيَّ الْمَشْهُورَ يَتَمَلَّقُهُ بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ :
- إِنَّهُ لَشَرَفٌ عَظِيمٌ لِي أَنْ أَعْرِفَ الرَّجُلَ الَّذِي يَحْتَرُمُهُ أَمِيرُنَا ، وَيَتَّخِذُهُ
صَدِيقاً حَمِيماً لَهُ . إِنَّ سَمْعَتَكَ قَدْ تَجَاوَزَتْ هَذَا الْإِقْلِيمَ !

وَكُلُّ الْمُقَاطَعَةِ تَعْرِفُ مِقْدَارَ مُسَاعَدَتِكَ لِرِجَالِ الْقَضَاءِ فِي هَذَا الْإِقْلِيمِ !
وَرَجَائِي أَلَّا تَبْخَلَ عَلَيَّ بِالتَّايِيدِ وَالنَّصِيحَةِ كُلَّمَا كُنْتُ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِمَا ..
أَوْ كُلَّمَا وَجَدْتُ أَنَّكَ تَنْفَعُهُمَا لِي .. !!

وَلَمَّا سَمِعَ « لَامٌ » الشَّرِيرُ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ قَالَ لِنَفْسِهِ :

- إِنَّ هَذَا الْقَاضِيَّ أَحَدُ رَجُلَيْنِ ... فَإِمَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلًا غَيِّبًا لَا يَعْرِفُ
مَاذَا كَانَ يَحْدُثُ هُنَا ! وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ رَجُلًا عَاقِلاً يُدْرِكُ خُطُورَةَ مُعَادَاةِ
أَقْوَى رَجُلٍ فِي الْإِقْلِيمِ !!



و ذات ليلة ذهب القاضي إلى قصر « لأم » قلقاً حزيناً . فلما رآه « لأم » على هذه الحال سأله :

— ما الأمر ؟ ولماذا أنت حزين ؟

فقال القاضي :

— عندي لك أخبار سيئة ! إن الأمير قد فقدَ كُلَّ نفوذه ومنزله لدى الإمبراطور !

فالإمبراطور — كما تعلم — لم يكن على علاقة حسنة بالأمير . وإنما كان يحتمله فقط لصداقته برئيس الوزراء السابق !

ورئيس الوزراء الجديد يحقد على الأمير ، ولهذا بدأ يثير غضب الإمبراطور عليه ، وينصحهُ بالأيتق فيه أو في أصدقائه ! !

ولم يكذ « لأم » يسمع هذه الأخبار حتى ظهر عليه الخوف والقلق ، واستولت عليه الحيرة والدهشة ..

عندئذ استأذن القاضي في الانصراف ، وخرج مسروراً لنجاح جزء من الخطة التي رسمها ، لعقاب هذا الرجل الظالم على جرائمه .. !

لقد كان من الصعب القبض على « لأم » في قصره ، وحوله رجال أقوياء يسمون أنفسهم « المصارعين » .

وكان من الصعب أيضاً القبض عليه خارج قصره ، لأنه كان دائماً محوطاً بكثير من الحراس الأشداء ..

ولهذا كان من الضروري أن يفكر القاضي في حيلة يستدرج بها « لأم »

ولهذا رضي الطاغية « لأم » عن نفسه ، ودعا « شونج شانج » للغداء معه . وقد تبين له أثناء الغداء أن « شونج شانج » ليس خائفاً منه فحسب ، وإنما هو على استعداد لإطاعة أوامره .. !

ومنذ ذلك اليوم بالغ « لأم » في معاملته القاسية لسكان إقليم « لونج يو » ! ولم يبذل القاضي الجديد أي مجهود لإنقاذهم من شروره ! !

بل على العكس ، كان يتردد كثيراً على قصر « لأم » ويتناول عنده الطعام الذي كان يسرقه من أهل الإقليم ، أو يشتريه بالمال الذي كان يأخذه غصباً من جيرانه .. !

وكم كانت دهشة القاضي « شونج شانج » شديدة ، عندما راح « لأم » ، وهو في حالة سُكرٍ شديدة يفتخر أمامه بجرائمه ، ويبين كيف ارتكبها ، ويذكر أسماء شركائه فيها ... !

ولكي يبرهن للقاضي الجديد على مقدار سلطانه ونفوذه أراه خاتماً ذهبياً أهده إليه الأمير ، ثم خاطبه مزمجرًا كالأسد :

— أنظر إلى هذا الخاتم ، ولا حظ اسم الأمير منقوشاً على فصه الزبرجديّ الأخضر ! لا يوجد في الدنيا إلا خاتمان اثنان من هذا النوع : أحدهما يلبسه الأمير ، والآخر ألبسه أنا .. !

ومن عادة الأمير ، إذا بعث إلى رسالة سرية ، أن يعطي الرسول خاتمهُ لتأكيد أن الرسالة موجهة منه إلي مباشرة .. !

ولما رأى القرويون أن القاضي الجديد يتردد كثيراً على قصر « لأم » ، ويظهر له الخضوع والاحترام ، ولا يهتم بقضايائهم ضد « لأم » الطاغية ، زادت كراهيتهم له .. !



وَحَدَهُ إِلَى بَيْتِهِ ، حَيْثُ لَا يَخْشَى حُرَّاسُ الْقَرْيَةِ مِنَ الْقَبْضِ عَلَيْهِ ... !

مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ اخْتَرَعَ الْقَاضِي قِصَّةَ غَضَبِ الْإِمْبْرَاطُورِ عَلَى الْأَمِيرِ لِيَسْتَدْرِجَ « لَامَ » إِلَى بَيْتِهِ ، وَلِيُجْبِرَهُ عَلَى كِتَابَةِ اعْتِرَافٍ مُفْصَّلٍ بِكُلِّ جَرَائِمِهِ .. !

وَخَوْفًا مِنْ أَنْ يَشُكَّ « لَامَ » فِي كَلَامِهِ ، اسْتَدْعَى الْقَاضِي خَادِمًا أَمِينًا لَهُ ، وَأَلْبَسَهُ ثِيَابًا كَثِيبًا خَدَمَ الْأَمِيرَ ، وَأَعْطَاهُ خَاتَمًا ذَهَبِيًّا مُزَيَّنًا يُشَبِّهُ خَاتَمَ « لَامَ » الَّذِي أَرَاهُ لِلْقَاضِي ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ إِلَى قَصْرِ « لَامَ » ، لَتَنْفِيزِ خُطَّةٍ اتَّفَقَ مَعَ الْخَادِمِ عَلَيْهَا ..

انْطَلَقَ خَادِمُ الْقَاضِي إِلَى قَصْرِ « لَامَ » وَاسْتَأْذَنَ فِي الدُّخُولِ عَلَيْهِ . فَلَمَّا أُذِنَ لَهُ وَوَقَفَ أَمَامَ « لَامَ » حَيَّاهُ فِي انْحِنَاءٍ وَقَالَ لَهُ :

- سَيِّدِي ! إِنَّ سُمُو الْأَمِيرِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ ، لِأَخْبَرَكَ أَنْ تَكُونِ فِي الْمُسْتَقْبَلِ عَلَى حَذَرٍ فِي جَمِيعِ تَصَرُّفَاتِكَ !

فَرَأَيْتُ الْوُزَرَ الْجَدِيدَ « لُونْجَ هِي » لَيْسَ عَلَى وِفَاقٍ مَعَ سُمُو الْأَمِيرِ . وَشُعُورُهُ نَحْوَكَ لَيْسَ شُعُورًا وَدِيًّا !

وَعِنْدَمَا سَمِعَ « لَامَ » هَذَا الْكَلَامَ لَمْ يُصَدِّقْهُ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ . وَلِهَذَا سَأَلَ الرَّسُولَ :

- أَبَعَثَ سُمُو الْأَمِيرِ إِلَيَّ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ كِتَابَةً أَمْ شَفْهِيًا ؟

فَقَالَ الرَّسُولُ :

- شَفْهِيًا طَبَعًا ! فَسُمُوهُ لَمْ يَشَأْ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْكَ خَشْيَةً أَنْ يُقَابِلَنِي بَعْضُ قُطَّاعِ الطَّرِيقِ وَيَأْخُذُوا الْخُطَابَ مِنِّي ، فَيَنْكَشِفَ أَمْرُهُ وَتُعْرِفَ عِلَاقَتُهُ بِكَ .. !

فَقَالَ « لَامَ » فِي تَرَدُّدٍ :

- وكيف أُصدِّقُ أنَّ هذه الرسالة الشفهية قد بعثَ بها الأميرُ نفسه .. ؟

قال الرسولُ :

- لقد أعطاني سُمُو الأميرِ هذا الخاتمَ ، لِتَقْتَنِعَ بِصِحَّةِ ما أَخْبَرْتُكَ به .. !

ثم ناوله الرسولُ الخاتمَ المزَيَّفَ . فلما رآه « لَامٌ » اقْتَنَعَ عِنْدَيْهِ بما أَخْبَرَهُ به القاضي ، وأكَّدهُ له رَسُولُ الأميرِ ... !

ولما رَدَّ « لَامٌ » الخاتمَ إلى رسولِ الأميرِ ، قال الرسولُ :

- إن سيدي سُمُو الأميرِ سيبعثُ إليك من وقت لآخرَ بكلِّ التَّطَوُّراتِ الجديدةِ ! وهو يأمرُكُ بأن تبقى هُنا لِتَتَلَقَّى رسائله ؛ وألاً تنتقلَ من هذا المكانِ حتَّى يَأْذَنَ لك .. !

وعندما انصرف الرسولُ بدأ « لَامٌ » يشعرُ حقيقةً بالخوفِ والفرعِ ! ولهذا ذهبَ إلى بيتِ القاضي « شُونج شَانج » لِيُبْحَثَ الأمرَ معه ... !!

- ٦ -

دخل « لَامٌ » على القاضي حَزِيناً مَهْمُوماً ، فسأله القاضي :

- ما الأمرُ ؟ لماذا أنتَ حزينٌ ؟

فأجاب « لَامٌ » في اضطرابٍ :

- وكيف لا أحرزُ ؟ لقد تأكَّدْتُ أنَّ الأخبارَ السيئةَ التي حدَّثتني بها صحيحةٌ !

قال القاضي في اندهاش مُصْطَنِعٍ :

- وكيف تأكَّدتَ من ذلك ؟

فأجاب « لَامٌ » :

- إن الأميرَ قد بعثَ إليَّ رسولاً يُحدِّثُني ، ويخبرُني أنَّ رئيسَ الوزراءِ الآنَ هو « لُونج هِي » . وهذا الرجلُ يكرهُني ولا يُحبُّني .. ! فماذا أفعلُ ؟

قال القاضي :

- لماذا لا تسافرُ الآنَ فوراً إلى العاصمةِ ، لِتُقَابِلَ صديقَكَ الأميرَ ، وتبحثَ هذا الأمرَ معه ؟

فقال « لَامٌ » في يأسٍ :

- هذا أمرٌ مستحيلٌ ! فالأميرُ قد أمرني بالبقاءِ في قَصْرِي حتَّى يَأْذَنَ لي بالحركةِ والانتقالِ !

قال القاضي وهو يتظاهرُ بالتفكيرِ :

- إنَّ الموقفَ قد أصبحَ حَرَجاً جَداً .. ! فإذا كان رئيسُ الوزراءِ الجديدُ لا يُحبُّكَ ، فمن الجائزِ أن يُحقِّقَ معَكَ في كلِّ ما نُسِبَ إليك من تُهَمٍّ !

ومع أن هذه التُّهَمَ غيرُ خطيرةٍ ، فقد يجعلُها بعضُ خُصُومِكَ تبدو تُهَمًا خطيرةً ! وخاصةً إذا عرَفُوا عداوةَ رئيسِ الوزراءِ الجديدِ لك ، ورَغِبَتِه في الانتقامِ منك ... !!

كان لكلماتِ القاضي تأثيرٌ فظيعٌ على « لَامٌ » ، وسُرَّعَانَ ما بدأ هذا الرجلُ الشريرُ المتكبرُ يَرْتَجِفُ مِنَ الخَوْفِ ويقولُ :

- وَيْلِي ! لقد فعلتُ أشياءَ كثيرةً ! أشياءَ يُمكنُ أن يتَّخذَها أعدائي وسيلةً للانتقامِ مِنِّي ! أَعْتَرِفُ أَنِّي لم أكنُ عادلاً دائماً . ! ولكنْ هل هناك

على الأرضِ إنسانٌ واحدٌ ، يستطيعُ أن يعدلَ دائماً ؟ رُبَّما أكونُ قد تسبَّبتُ في قتلِ بعضِ الناسِ ، ولكنَّهم كانوا في نَظَرِي أشخاصاً لا قيمةَ لهم !!

قال القاضي « شونج شانج » :

- هذا صحيحٌ ! وإذا لم تُبينْ هذه الأفعالَ ، وتشرحَ كلَّ الظروفِ التي دَفَعَتْكَ إليها ، فقد تبدو كأنها جرائمٌ .. !

قال « لَام » في اضطرابٍ :

- وبماذا تنصَّحي ... ؟

فقال القاضي :

- أنصحُك أن تكتبَ للأميرِ خطاباً ، تُصاَرِحُه فيه بأخطائكَ ضدَّ جيرانك هُنا ، وأن تبعثَ إليه بهذا الخطابِ في الحالِ مع رسولٍ تثقُ به ..

فسأله « لَام » :

- ولماذا أكتبُ إلى الأميرِ وأخبره بكلِّ شيءٍ ؟

فأجاب القاضي :

- لأنَّ الأميرَ إذا عَرَفَ منك كلَّ شيءٍ استطاعَ أن يدافعَ عَنْكَ ، وأن يحميكَ من شرِّ رئيسِ الوزراءِ الجديدِ ! وإذا أخفيتَ كلَّ شيءٍ عن الأميرِ فلنَ يقدرَ على مساعدتكِ والدفاعِ عنك .. !

- ٧ -

عندئذٍ ظهرَ الارتياحُ على وَجْهِ « لَام » ، ثم قال مخاطباً القاضي :

- أشكركُ ! هذه فكرةٌ حسنةٌ جداً . سأستدعي كاتبي وأُملِي عليه في

الحالِ خطاباً للأميرِ ، أخبره فيه بكلِّ شيءٍ .. !

فأظهر القاضي عَدَمَ موافقته على ذلك وقال :

- لا .. لا أنصحُك بهذا ... وإنما أنصحُك بأن تكتبَ الخطابَ بخطِّ يدك ..

فقال « لَام » مستفهماً :

- ولماذا تفضِّلُ أن أكتبَ الخطابَ بخطِّ يدي ؟

فأجاب القاضي :

- إذا أملتَ الخطابَ فقد تذكَّرَ بعضَ الأشياءِ وتنسى البعضَ الآخرَ . وقد تكونُ هناكَ أشياءٌ لا تريدُ أن يعرفها كاتبك ! ومن يدري ؟ فقد يستعملها ضدَّك إذا أملتَها عليه ! ومن ناحيةٍ أخرى ، سيصدقُ الأميرُ كلَّ ما تخبره به إذا رآه مكتوباً بخطِّ يدك .. !

وهكذا استطاعَ القاضي أن يستدرجَ هذا الرجلَ الخائفَ المضطربَ ، إلى كتابةِ الخطابِ بخطِّ يده .. !

ثم أطرق « لَام » يُفكِّرُ في الأمرِ . وفجأةً رفعَ رأسه ونظرَ إلى القاضي لحظةً ثم سأله :

- ولكنَّ من سيحملُ خطابي إلى الأميرِ ؟ لا أستطيعُ أن أذهبَ بنفسِي ، بعدَ أن أمرني بالبقاءِ في قَصْرِي ! ولا أستطيعُ أن أكلفَ أحداً من رجالي بهذه المهمةِ ؛ لأنِّي لا أثقُ بهم ! ورُبَّما قرأَ رسولي الخطابَ في الطريقِ وعرفَ كلَّ ما فيه ! وفي هذه الحالةِ لا آمنُ من شرِّه ومكرِّه .. !!

فقال القاضي « شونج شانج » :

- ما دام الأمر كذلك ، فأنا مُستعِدُّ أَنْ أَحمِلَ هذا الخطابَ إلى الأميرِ
نِيبَاةً عَنْكَ ...

فقال « لَامٌ » :

- لا أريد أن أُتعبَكَ .

فقال القاضي :

- لا تعبَ .. كلُّ ما أرجوه أن تُحضِرَ الخطابَ بنفسِكَ إلى بيتي مساءً
غدٍ . حتى لا يَظُنَّ أحدٌ عندما أَسَافِرُ صباحَ اليومِ التالي أنني أَحمِلُ شيئاً
يَخُصُّكَ ...

- ٨ -

وَأَفَقَ « لَامٌ » على ذلك ، وشكرَ القاضيَ على نَصِيحَتِهِ ، واستَعَدَّاهُ
لِمُعَاوَنَتِهِ . ثم حَبَسَ نفسه في قَصْرِه يوماً كاملاً لكتابةِ الخطابِ ، حتى إذا
أَتَمَّهُ ، وَقَعَ بِاسْمِهِ على آخرِ صَفْحَةٍ منه .

كان خطاباً طويلاً اعْتَرَفَ فيه بكلِّ جَرَائِمِهِ .. ! لقد أَوْضَحَ فيه كيفَ
سَرَقَ مَالَ هذا ، أو اغْتَصَبَ أَرْضَ ذاك ! ولماذا خَطَفَ هذه الفتاة ، أو قَتَلَ
ذاكَ الرجلَ !

وفي اللَّيْلِ خَرَجَ « لَامٌ » من قَصْرِه مُتَنَكِّراً يَقْصِدُ بَيْتَ القاضي . وهناك
رَأَى كُلَّ شَيْءٍ حَوْلَ الْبَيْتِ هَادِئاً سَاكِناً ، ورَأَى كُلَّ أَنْوَارِهِ مُطْفَأَةً إِلَّا نُورَ
حِجْرَةٍ وَاحِدَةٍ يَجْلِسُ فِيهَا الْقَاضِي مُنْفَرِداً .. !

ثم طَرَقَ « لَامٌ » نافذةَ هذه الحِجْرَةِ الْمُضِيئَةِ طَرَقاً خَفِيفاً ، فَهَضَّ

« شُونُجَ شَانُجٍ » من مكانِهِ ، وفتحَ البابَ ، وقادَ « لَامٌ » إلى الحِجْرَةِ الَّتِي
كَانَ يَجْلِسُ فِيهَا .

وبعد أن اسْتَقَرَّ « لَامٌ » في مَجْلِسِهِ تَلَقَّتْ حَوَّلَهُ ، ثم أخرجَ الخطابَ
من جَنِبِهِ وَنَاوَلَهُ هُوَ وَالْخَاتَمَ لِلْقَاضِي قَائِلاً :

- هذا هو الخطابُ ! وهذا هو الخاتَمُ . حتى يَعْرِفَ الأميرُ أَنَّكَ رسولي .
لقد اعْتَرَفْتُ في الْخِطَابِ لِلْأَمِيرِ صَرَاحَةً بِكُلِّ شَيْءٍ ! إنه سيفهمُ كُلَّ شَيْءٍ ،
فقدِ ارْتَكَبَ هو نفسه جَرَائِمَ كَثِيرَةً أَيْضاً !! هل تستطيعُ السَّفَرَ إلى الْعَاصِمَةِ
غداً .. ؟

فقال القاضي :

- نعم ! غداً أَسَافِرُ إلى الْعَاصِمَةِ ، ولكنَّ هناك قَضِيَّةٌ صَغِيرَةٌ يَجِبُ
أَنْ أَحْكَمَ فِيهَا قَبْلَ سَفَرِي .. !!

ونظَرَ « لَامٌ » على الْفَوْرِ إلى القاضي فإذا هو عَابِسُ الْوَجْهِ ، فأدْرَكَهُ
الْفَزَعُ ... ! ثم زَادَ فَزَعُهُ عِنْدَمَا سَمِعَ الْقَاضِيَ يَأْمُرُ بِإِضَاءَةِ جَمِيعِ أَنْوَارِ الْبَيْتِ ،
وحضُورِ رِجَالِ الْمَحْكَمَةِ .. !

وفجأةً ظَهَرَ الْحُرَّاسُ مِنْ حُجُرَاتِ الْبَيْتِ ، وأحاطوا بِالطَّاعِيَةِ « لَامٌ » ،
فَقَبَضُوا عَلَيْهِ ، ثُمَّ انْطَلَقُوا بِهِ إِلَى الْمَحْكَمَةِ حَيْثُ كَانَ كُلُّ شَيْءٍ هُنَاكَ عَلَى أَتَمِّ
اسْتِعْدَادٍ .. !

وَرَأَحَ حَاجِبُ الْمَحْكَمَةِ يُنَادِي الشُّهُودَ وَاحِداً وَاحِداً ، لِيَشْهَدُوا عَلَى جَرَائِمِ
هَذَا الطَّاعِيَةِ الَّذِي لَا يَعْتَرِفُ بِالْقَانُونِ ، وَلَا يَخَافُ الْقُضَاةَ .. !

وقَبِيلَ الْفَجْرِ تَمَّتِ الْمُحَاكَمَةُ ، وَحَكَمَ عَلَيْهِ الْقَاضِي « شُونُجَ شَانُجٍ »

بالإعدام ، وبمصادرة كل أملاكه بين هتاف القرويين الذين طالما ظلمهم ،
وسرق أموالهم ، واغتصب نساءهم ، وسفك دماءهم ... !!

- ٩ -

في هذه القضية حكم « شونج شانج » بالعدل ، وأخذ بحق الضعيف
من القوي ، ونصر المظلوم على الظالم . وذلك واجب القاضي دائماً .

ولكن « شونج شانج » كان يعرف أن أصعب عمل لا يزال أمامه ،
هو أن يقنع رؤساءه بأن هذا الحكم الذي أصدره على « لأم » كان حكماً
عادلاً . !

ولهذا كتب صورة من خطاب « لأم » ، ثم سافر إلى العاصمة متنكراً
في زي خادم .. !

وبعد رحلة طويلة شاقة وصل أخيراً إلى العاصمة مقر الإمبراطور
والحكومة .

ولمّا بلغ قصر الأمير بعث إليه بخاتم صديقه « لأم » فأذن له الأمير
بمقابلته في الحال .

وعندما رآه الأمير قال له والشرُّ يلوح في وجهه :

- من أنت ؟ وماذا تريد ؟

فقال القاضي المتنكر في زي خادم :

- يا سمو الأمير ! أنا خادم صديقك « لأم » . لقد أرسلني سيدي إليك



بهذا الخطاب . وهو يلتمس ردًا سريعاً من سموك ؛ لأنه في حالة شديدة من القلق والاضطراب .

تناول الأمير الشرير الخطاب وقرأه ، وهو يتنسم حيناً ، ويضحك حيناً آخر .. ! ثم استدعى على الفور كاتبه ، وأملى عليه ردًا على خطاب صديقه « لأم » .

وفي هذا الرد أخبره أن رئيس الوزراء صديقه لا يزال حيًا ، ولا يزال رئيساً للوزراء ، وأن نفوذه لدى الإمبراطور لا يزال قويًا ، وأنه سيهتم بكل شئونه ! ثم طلب إليه ألا يكون غيبًا أو جبانًا ... !

وأخيراً ناول الأمير رده للرسول ، فأخذه وخرج مسروراً لنجاح خطته !

- ١٠ -

وفي الحال ذهب الرسول ، أو القاضي المتنكر في زي خادم ، إلى منزل صديق له عظيم الشأن في القصر الإمبراطوري ، ورجاه أن يرتب له مقابلة مع الإمبراطور .

وبعد انتظار بضعة أيام أذن له بمقابلة الإمبراطور ، فلما مثل بين يديه حيّاه في انحناء واحترام ، ثم قال له :

- يا جلالة الإمبراطور ! إنني واجبي كقاض يفرض عليّ أن أتهم أمامكم أحد الأمراء ورئيس الوزراء ! إني أتتهم بالتستر على جرائم صديق لهما معروف بظلم الضعفاء والفقراء من أبناء شعبك !

فنظر الإمبراطور « تونج تسي » إلى القاضي نظرة فاحصة ، ثم قال له :

- هل تدرك معنى اتّهامك هذا ؟ إنه اتّهام خطير جداً .. ! هل لديك أدلة عليه ؟ .

فقال القاضي :

- نعم ، يا مولاي ! لدي أدلة قاطعة !!

عندئذ استدعى الإمبراطور كبير القضاة وقال له :

- إن هذا القاضي « شونج شانج » يتهم أحد الأمراء ورئيس الوزراء بالتستر على جرائم صديق لهما .. ! ولهذا أمر بتشكيل محكمة خاصة للفصل في هذه القضية التي تمس سمعة شخصيتين كبيرتين ..

- ١١ -

وعندما شكّلت المحكمة ، وبدأت محاكمة الأمير ورئيس الوزراء ، اكتشف « شونج شانج » مقدار نفوذ هذين الرجلين .. !

فكبر القضاة كان يحاول بشكل ظاهر أن يحمي الأمير ! والقضاة كانوا خائفين من الفصل في قضية تتصل برئيس وزراء قوي .. !

أمّا المحامون ممن يعرفون « شونج شانج » فراحوا ينصحونه قائلين :

- يا « شونج شانج » ! لا تكن غيباً .. ! نحن نعرف عدلك وأمانتك ! ولكن اتّهامك لأحد الأمراء بالتستر على مجرم يعرضك لخطر شديد ...

ليست هناك فرصة لكسب هذه القضية . لن تكسب منها إلا فصلك من وظيفتك .. وقد ينتهي الأمر بك إلى السجن .. !



كن عاقلاً ، وتنازل عن القضية الآن ، وعد إلى « لونغ يو » ... نحن ننصحك لمصلحتك .. !!

ولكن « شونج شانج » لم يصغ إلى نصيحة هؤلاء المحامين وقال لهم :
- أنا لا أهتم بوظيفتي أو حياتي ! لن أتنازل عن اتهماتي ! وإذا خسرت القضية فأنا مستعد لما ينالني من عقاب بسببها ! إن هذين الرجلين أشد إجرماً من اللصوص الفقراء الذين حكمت عليهم بالسجن ! يجب أن يعاقبا ! يجب أن يعاقبا .. !!

ورأى كبير القضاة الذي تولى رئاسة المحكمة إصرار « شونج شانج » على استمرار المحاكمة فسأله :

- ما دليلك يا « شونج شانج » على أن الأمير يُشجع مجرماً معروفاً على إخفاء جرائمه ؟

عندئذٍ قدّم « شونج شانج » لكبير القضاة خطاب « لأم » وردّ الأمير عليه وقال له :

- هذا هو دليلي يا سيدي .. !

ولما اطلع كبير القضاة على الخطابين فكر قليلاً ثم قال :

- إن الدليل الذي قدّمه « شونج شانج » يحتاج إلى دراسة دقيقة . ولهذا أعلن تأجيل الجلسة إلى اليوم التالي ...

- ١٢ -

وفي اليوم التالي أعلن كبير القضاة في المحكمة أن حريقاً حدث أمس في بيته ، وأن النار أحرقت كل أوراقه ومن بينها الخطابان اللذان قدّمهما له « شونج شانج » !

ثم التفت إلى « شونج شانج » قائلاً :

- ليس هناك الآن دليل على أن سمو الأمير ورئيس الوزراء لهما علاقة بجرائم « لأم » . ولهذا أنصحك بالتنازل عن اتهماتك لهما . فإن قبلت نصيحتي أخذتك إلى جلالة الإمبراطور ، وأوضحت له أن حكمك بالإعدام على « لأم » كان حكماً عادلاً ، واقترحت عليه مكافأتك وترقيتك ...

لم يتوقع أحدٌ ممن عرف « شونج شانج » أن يوافق على هذا الاقتراح الذي هو نوعٌ من الرشوة ...

ولكنّ الدهشة استولت على الحاضرين ، كما استولى السرور على كبير القضاة ، عندما قال « شونج شانج » :

- إني أوافق على اقتراحك يا سيدي ، إن أذن لي جلالة الإمبراطور بمقابلته .. !

وعندما أذن « لشونج شانج » بمقابلة الإمبراطور للمرة الثانية ، وقف أمامه وحيّاهُ بانحناء واحترام ، ثم قال له :

- يا جلالة الإمبراطور ! إني لا أتهم الآن الأمير ورئيس الوزراء فقط ، وإنما أتهم كبير القضاة أيضاً ... !

لم يتوقع كبير القضاة الذي كان حاضراً ما حدث ، ولهذا غلب عليه الخوف والاضطراب . ولكنه عاد فمالك نفسه وقال :

- يا مولاي ! إن « شونج شانج » قد اتهمني أمام جلالتيكم . ومن حقّي أن أطلبه بالدليل على اتهمته لي !

فنظر الإمبراطور إلى « شونج شانج » وقال له :



– ما دليلك على اتّهام كبير القضاة ؟

فأخرج « شونج شانج » من جيّبه خطابين في الحال وقدمهما إلى الإمبراطور قائلاً :

– هذا هو دليلي يا مولاي ! إنه الخطاب الذي كتبه « لأم » بخطّ يده ، وردّ الأمير عليه !! كنت أعرف أنّ كبير القضاة خاضع لنفوذ الأمير . وخشية أن يمزّق الخطابين الأصليين ، قدّمتُ إليه نسختين منهما ، كتبتهما بخطّي . وصدق ما توقّعت ، فقد حضر اليوم إلى المحكمة وأعلن أنهما قد حرقا .. !

– ١٣ –

ولمّا قرأ الإمبراطور الخطابين وتأكد له صدق القاضي « شونج شانج » ، لم يستطع أن يكظم غيظه وقال في غضبٍ شديد :

– عندما يتفشّى الخداع والغش والفساد ... حتّى بين أمراء القصر الإمبراطوري ورجال الحكم ، فلا أمل في سلامة البلاد من مثل هذه الشرور .. ! إن هذا القاضي الشجاع « شونج شانج » قد حارب وحده من أجل العدل والحق !

وفي الوقت ذاته أرى حفيدي الأمير صديقاً للمجرمين ، ورئيس وزرائي يتستر على جرائمهم ، وكبير قضائي يخفي الدليل تسهلاً للمجرمين على الإفلات من عدل القضاء .. !

لم أكن أعلم من قبل أنّي محووط بعصابات من الكذابين ، والجبناء ، وأصدقاء المجرمين ، ومن يحاولون إخفاء الأدلة والبراهين .. !

ولكنّي لن أكون منذ اليوم محووطاً بأمثال هؤلاء . ! أجل ، لن يتولّى واحدٌ منهم أيّ عملٍ من الأعمال في بلادنا بعد اليوم !

ثم نظر الإمبراطور إلى الأمير نظرة من خاب أمّله فيه ، وقال له :

– يا حفيدي الذي لا أشرفُ به ، ولا أرجو منه خيراً لنفسه ووطنه ! لقد حكمتُ عليك بملازمة قصرِكَ خارج العاصمة ، لدراسة الفلسفة والعلوم والآداب ، فلعلّها تخلُق منك إنساناً ! ومع هذا فلست متأكداً أنّ فلسفة الأرض وعلومها وآدابها تستطيع أن تمحو من نفسك بذور الشر .. !

وفجأة نظر إلى رئيس الوزراء ، فإذا هو يجفّف عرقه بمنديل ، فقال له :

– وأنت أيّها الرجل الذي وليته أمور الناس فخان الأمانة ! لقد حكمتُ عليك بالسجن ثلاث سنوات ، ثم أتركتك بعد ذلك لضميرِكَ يُعذّبكَ مدى الحياة ، إن كان لك ضميرٌ حيٌّ .. !

وأما أنت يا كبير القضاة ، فتذهب إلى السجن العام وتبقى فيه المدّة التي أراها كافيةً للتكفير عن جريمتك .. !

وأنتم أيّها الموظفون الآخرون الذين بلغ الجبن والخوفُ بكم إلى حدّ أن تُخفوا عليّ أنباء هذا الظلم ! لقد حكمتُ عليكم بالفصل والطرْد من وظائفكم ! ولن أولي أحدكم أيّ عملٍ ما دُمْتُ حياً .. !!

أما أنت أيّها القاضي الشجاع « شونج شانج » فقد عيّنتك رئيساً لوزرائي .. فليس أحدٌ أحقّ منك بهذا المنصب الخطير ..

* * *

كانت كلماتُ الإمبراطورِ هذه دَرْساً بليغاً لِمَن يَحْكُمُ ثم يُسيءُ الحُكْمَ ؛
وَلِمَن يَسْتَعِْلُ نَفوذَه وسُلطانَه في الشرِّ لا في الخيرِ .. !!

ثم كانتُ هذه الكلماتُ أيضاً مُقدِّمةً لأعمالٍ عظيمةٍ مَجيدةٍ ، قامَ بها
« شُونج شَانج » لِوَطنِه الذي خَدَمَه بِعدُلٍ وشِجاعةٍ ، وإِخلاصٍ وأمانةٍ .. !!

مطابع الشروق

بيروت: منارالباس - شارع سيدة صيدنايا - بتاية صفا
ص.ب: ٨٠٦٤ - بيروت: داسشروق - تلكن ٢٠١٧٥١٤
***** - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - ٨١٧٧٦٥
٣٠٧٩٨٤ - ٨٦٧٥٥٥



حكايات الشروف

- | | |
|---------------------|------------------|
| * القبطان | * البلب والفلاح |
| * المهرج | * مالك السعيد |
| * البقرة الحمراء | * زوجة السلطان |
| * الفأر طويل اللسان | * نداء البحيرة |
| * أرض الذهب | * الصياد والسمكة |
| * النهر الذهبي | * القاضي العادل |
| * الريح الشمالية | |